وفيات الأعيان
وأنباء أبناء الزمان

لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان
(٦٠٨ - ٦٨١هـ)

حققه

الدكتور إحسان عباس

المجلد الثاني

دار صادر
بيروت

التقصير فيما به الحاجة ، وإني رأيت النهم لا مروءة له ، ورأيت الجوع داءً ، فخذ من الطعام ما يُذهب عنك النهم وتداوي به الداء .

قيل إن شبيباً أتى سليمان بن علي الأمير في حاجة ، فقال له سليمان : قد حلفت أني لا أقضي هذه الحاجة ، فقال : أيها الأمير إن كنت لم تحلف بيمين قط فحنثت فيها فما أحب أن أكون أول من أحنثك ، وإن كنت ترى غيرها خيراً منها فكفّر ، فقال : أستخير الله ، ثم قضاها .

وكان يقول : من سمع كلمة يكرهها فسكت انقطع عنه ما يكره ، فإن أجاب سمع أكثر مما يكره[1] .

٢٩٠

القاضي شريح

أبو أُمية شُريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش ابن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتَّع – بتشديد التاء المثناة من فوقها وكسرها – الكندي ، وثور بن مُرتَّع هو كِنْدَة ، وفي نسبه اختلاف كثير ، وهذه الطريق أصحها[2] ؛ كان من كبار التابعين ، وأدرك الجاهلية ، واستقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة ، فأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير ، واستعفى الحجاج بن يوسف من القضاء فأعفاه ، ولم يقض بين اثنين حتى مات .

---

١ قلت : ليست هذه الترجمة على شرط المؤلف لأنه لم يحدد السنة التي توفي فيها شبيب .

٢٩٠ - ترجمة القاضي شريح في طبقات ابن سعد ٦ : ١٣١ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢١ وحلية الأولياء ٤ : ١٧٢ والشذرات ١ : ٨٥ والمعارف : ٤٣٣ وتذكرة الحفاظ : ٥٩ والعقد ١ : ٨٩ – ٩١ ، ٥ : ١٠ .

٢ هذا هو النسب الذي أورده ابن سعد أيضاً .

وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة ، قال ابن عبد البر : وكان شاعراً محسناً ، وهو أحد السادات الطُّلْس ، وهم أربعة : عبد الله بن الزبير ، وقيس بن سعد بن عبادة ، والأحنف بن قيس الذي يُضرب به المثل في الحلم ، والقاضي شُرَيْح المذكور . والأطلس : الذي لا شَعْر في وجهه .

وكان مَزّاحاً ، دخل عليه عَدِيّ بن أرْطَاة فقال له[1] : أين أنت أصلحك الله ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، قال : استمع مني ، قال : قل أسمع ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : مكان سَحيق ، قال : تزوجت عندكم ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : وأردت أن أرحلها[2] ، قال : الرجل أحق بأهله ، قال: وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : فاحكم الآن بيننا ، قال : قد فعلت ، قال : فعلى من حكمت ؟ قال : على ابن أمك ، قال : بشهادة من؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك[3] .

---

١ العقد ١ : ٩٠ .

٢ ص : ادخل بها .

٣ زاد هنا في أ ما نصه :

حدث أبو جعفر المدني عن شيخ من قريش قال : عرض شريح ناقة ليبيعها فقال له المشتري: يا أبا أمية كيف لبنها ؟ قال: احلب في أي اناء شئت ، قال : كيف الوطا ؟ قال : افرش ونم، قال : كيف نجاؤها ؟ قال : اذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها ، علّق سوطك ونم ، قال : كيف قوتها ؟ قال : احمل على الحائط ما شئت ، فاشتراها فلم ير شيئاً مما وصفها به ، قال : ما كذبتك ، قال : اقلني ، قال : نعم .

وقيل تقدم رجلان الى شريح فاعترف أحدهما بما ادعي عليه وهو لا يعلم بذلك فقضى عليه، فقال الرجل : تقضي علي من غير بينة ؟ فقال : قد شهد عندي الثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخي عمك ؛ وقد ألم بهذا المعنى أبو عبد الله الحسين بن الحجاج المقدم ذكره في قوله :

وان قدموا خيلهم للركوب خرجت فقدمت لي ركبتي
وفي جمل النـاس غلمانهم وليسَ سوى أنا في جملتي
ولا لي غـلام فأدعى به سوى من أبوه أخو عمتي

وقال الأشعث بن قيس لشريح : ما أشد ما ارتفعت ! قال : فهل ضرك ذلك ؟ قال : لا ، قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها في نفسك .

وحدث محمد بن سعد عن عامر الشعبي أن ابناً لشريح قال لأبيه: ان بيني وبين قوم خصومة=

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخـــل مع خصم له ذمي إلى القاضي شريح فقام له ، فقال : هذا أول جورك ، ثم أسند ظهره إلى الجدار وقال : أما إن خصمي لو كان مسلماً لجلست بجنبه .

وروي أن علياً رضي الله عنه قال : اجمعوا لي القراء ، فاجتمعوا في رحبـة المسجد ، فقال : إني أوشك أن أفارقكم ، فجعل يسائلهم : ما تقولون في كذا؟ ما تقولون في كذا ؟ وشريح ساكت ، ثم سأله ، فلما فرغ منهم قـال : اذهب فأنت من أفضل الناس ، أو من أفضل العرب .

وتزوج شريح امرأة من بني تميم تسمى زينب ، فنَقم عليها شيئاً فضربها ، ثم ندم وقال :

رأيتُ رجـــالاً يضربون نساءهم ... فشلَّتْ يميني يوم أضرب زَينبـــا
أأضربُهـــا من غير ذنب أتت به ... فما العدل مني ضَرْبُ من ليس مذنبا
فزينبُ شمسٌ والنســـاء كواكب ... إذا طلعت لم تُبْقِ منهن كوكبـــا

هكذا ذكر هذه الحكاية صاحب « العقد »[1] .

ويروى أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية[2] : « يا أمير المؤمنين ، قد ضبطت لك العراق بشمالي، وفرّغت يميني لطاعتك ، فولني الحجاز » ، فبلغ ذلك عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ، وكان مقيماً بمكة ، فقال : اللهم اشغل عنا يمين زياد ، فأصابه الطاعون في يمينه ، فجمع الأطباء واستشارهم ، فأشاروا عليه بقطعها ، فاستدعى القاضي شريحاً وعرض عليه ما أشار به الأطباء ، فقال له : لك رزق معلوم وأجل مقسوم وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين ،

= فانظر فإن كان الحق لي خاصمت وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم ، فقص قصته عليه فقال : انطلق فخاصمهم ، فانطلق اليهم فتخاصموا اليه ، فقضى على ابنه ، فقال له لما رجع الى أهله : والله لو لم أتقدم اليك لم أملك، فقال : والله يا بني لأنت أحب الي من ملء الأرض مثلهم ولكن الله أعز علي منك ، خشيت أن أخبرك ان القضاء عليك فتصالحهم ببعض حقهم .

١ العقد ٥ : ٢٩٠ ، ٦ : ٩٤ .
٢ انظر طرفاً منها في العقد ٥ : ١٢ .

وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فإذا سألك: لم قطعتها ؟ قلت: بغضاً في لقائك وفراراً من قضائك . فمات زياد من يومه ، فلام الناس شريحـاً على منعه من القطع ، لبغضهم له ، فقال : إنه استشارني والمستشار مؤتمن ، ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر جسده يوماً يوماً .

[وكتب شريـح إلى أخ له هرب من الطاعون : أما بعد فإنـك أنت الذي بعين من لا يُعْجزه من طلب ولا يفوته من هرب، والمكان الذي خلفته لم يعجل امرءاً حِمامه ولم يظلمه أيامه ، وانك وإياهم لعلى بساط واحـد ؛ إن المنتجع من غير ذي قدرة لقريب والسلام .

وعن الشعبي قال : شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها فبكت ، فقلت أنا : ما اظن هذه البائسة إلا مظلومة ، فقال : يا شعبي ان إخوة يوسف عليه السلام جاءوا اباهم عِشاء يبكون .

وسئل شريح عن الحجاج : أكان مؤمناً ؟ قال : نعم ، بالطاغوت ، كافراً بالله تعالى][1] .

وكانت وفاة القاضي شُرَيح سنة سبع وثمانين للهجرة وهو ابن مائـة سنة ، وقيل سنة اثنتين وثمانين ، وقيل سنة ثمان وسبعين ، وقيل سنة ثمانـين ، وقيل سنة تسع وسبعين ، وقيل سنة ست وسبعين ، وهو ابن مائـــة وعشرين سنة ، وقيل مائة وثماني سنين ، رضي الله عنه .

والكِندي : بكسر الكاف وسكون النون وبعدها دال مهلة ، هذه النسبة إلى كِنْدَة ، وهو ثور بن مُرَتّع بن مالك بن زيد بن كهلان ، وقيل ثور بن عُفَير بن الحارث بن مرة بن أدد ، وسمي كِندة لأنه كَنَدَ أباه نعمته : أي كفرها .

١ زيادة من ص وحدها .